

# منبر المحراب

## القناعة والكرم والحرص في المفهوم الإسلامي

السنة الخامسة عشرة  
العدد ٨٠٣ - ١٣ / شوال ١٤٢٩ هـ  
الموافق ١٤ تشرين أول ٢٠٠٨ م

### المحاور الرئيسية للموضوع:

- ١- مفهوم القناعة وقيمتها في الإسلام.
- ٢- مفهوم الحرص ومساوئه ومعالجته.
- ٣- مفهوم الكرم ومحاسنه والحث عليه.

**الهدف العام:** تكريس مبدأ الكرم في التعاملات المالية والاجتماعية، والتربية على التوازن والقناعة في التعاملات المالية ونحوها.

**تصدير الموضوع:** شكى رجل إلى أبي عبد الله عليه السلام أنه يطلب فيصيب فلا يقنع، وتنازع نفسه إلى ما هو أكثر منه، وقال: علمني شيئاً أنتفع به. فقال أبو عبد الله عليه السلام: (إن كان ما يكفيك يغنيك، فأدنى ما فيها يغنيك، وإن كان ما يكفيك لا يغنيك، فكل ما فيها لا يغنيك) الوافي ج ٣ ص ٧٩ عن الكافي.

وقال الامام الصادق عليه السلام: (إن فيما نزل به الوحي من السماء: لو أن لابن آدم واديين، يسيلان ذهباً وفضة، لا يتغنى لهما ثالثاً، يا بن آدم إنما يهلكك بحر من البحور، وواد من الأودية، لا يملأه شيء إلا التراب) الوافي ج ٣ ص ١٥٤

### المحور الأول: مفهوم القناعة وقيمتها في الإسلام:

١- مفهوم القناعة: للقناعة أهمية كبرى، وأثر بالغ في حياة الإنسان. فهي تحرره من عبودية المادة، واسترقاق الحرص والطمع، وعنائهما المرهق، وهوانهما المذل، وتفتح فيه روح العزة، والكرامة، والإباء، والعفة، والترفع عن الدنيا، واستدراار عطف اللئام، والقانع بالكفاف أسعد حياة من الحرير المتفاني في سبيل أطماعه وحرصه. والذي لا ينفك عن القلق والمتاعب والهموم.

وهي: من الاكتفاء من المال بقدر الحاجة والكفاف، وعدم الاهتمام فيما زاد عن ذلك. وهي: صفة كريمة، تعبر عن عزة النفس، وشرف الوجدان وكرم الأخلاق.

٢- فضل القناعة: فيما يلي بعض ما أثر عن فضائلها في الأخبار:

- قال الإمام الباقر عليه السلام: (من قنع بما رزقه الله فهو من أغنى الأغنياء) الوافي ج ٣ ص ٧٩ عن الكافي. وإنما صار القانع من أغنى الناس، لأن حقيقة الغنى هي: عدم الحاجة إلى الناس، والقانع راض ومكتف بما رزقه الله، لا يحتاج ولا يسأل سوى الله.

وقال الإمام الباقر عليه السلام: (إياك أن يطمح بصرك إلى من هو فوقك فكفى بما قال الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم: ﴿وَلَا تَعْبُجْ أَمْوَالَهُمْ وَلَا أَوْلَادَهُمْ﴾ وقال: ﴿وَلَا تَمْدَن عَيْنُكَ إِلَى مَا مَتَعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾، فإن دخلك من ذلك شيء، فاذكر عيش رسول الله صلى الله عليه وسلم، فإنما كان قوته الشجير، وحلواه التمر، ووقوده السعف إذا وجدته) الوافي الجزء ٣ ص ٧٨ عن الكافي..

وكتب المنصور العباسي إلى أبي عبد الله الصادق عليه السلام: لم لا تغشانا كما يغشانا الناس؟ فأجابه: ليس لنا من الدنيا ما نخافك عليه، ولا عندك من الآخرة ما ترجوك له، ولا أنت في نعمة فنهنك بها، ولا في نقمة فتعزبك بها. فكتب المنصور: نصحبنا لتصحنا. فقال أبو عبد الله عليه السلام: (من يطلب الدنيا لا ينصحبك، ومن يطلب الآخرة لا يصحبك).

ومن طريف ما أثر عن القناعة: ورد في كشكول البهائي (أرسل عثمان بن عفان مع عبد له كيساً من الدراهم إلى أبي ذر وقال له: إن قبل هذا فأنت حر، فأتى الغلام بالكيس إلى أبي ذر، وألح في قبوله، فلم يقبل، فقال له: إقبله فإن فيه عتقي. فقال: نعم ولكن فيه رقي) سفينة البحار ج ١ ص ٤٨٣.

(وكان ديوجانس الكلي من أساطين حكماء اليونان، وكان متشكفاً، زاهداً، لا يقبتي شيئاً، ولا يأوي إلى منزل، دعاه الإسكندر إلى مجلسه، فقال للرسول: قل له: إن الذي منعك من المسير إلينا، هو الذي منعنا من المسير إليك، منعك استغنائك عنا بسلطانك، ومنعني استغنائني عنك بقناعتك) سفينة البحار ج ٢ ص ٤٥١..

وما أحلى قول أبي فراس الحمداني في القناعة:

إن الغني هو الغني بنفسه  
ولو أنه عار المناكب حاف  
ما كل ما فوق البسيطة كافياً

فإذا قنعت فكل شيء كاف  
**المحور الثاني: مفهوم الحرص ومساوئه وعلاجه:**

١- مفهوم الحرص: الحرص: هو الإفراط في حب المال، والاستكثار منه، دون أن يكتفي بقدر محدود. وهو من الصفات الذميمة، والخصال السيئة، الباعثة على ألوان المسائى والأثام، وحسب الحرص ذماً أنه كلما ازداد حرصاً ازداد غيماً وغماً.

٢- مساوئ الحرص: يدهي أنه متى استبد الحرص بالإنسان، استرقه، وسبب له العناء والشقاء، فلا يهتم الحرص ولا يشبع جشعه إلا استكثار الأموال واكتنازها، دون أن ينتهي إلى حد محدود. فكلما أدرك مأرباً طمح إلى آخر، وهكذا يلج به الحرص، وتستعبده الأطماع، حتى يوافيه الموت فيغدو ضحية الفناء والخسران. والحرص أشد الناس جهداً في المال، وأقلهم انتفاعاً واستمتاعاً به، يشقى بكسبه وادخاره، وسرعان ما يفارقه بالموت، فيهنأ به الوارث، من حيث شقي هو به، وحر من لذته.

والحرص بعد هذا وذاك، كثيراً ما يزعج صاحبه في مزالق الشبهات والمحرمات والتورط في آثامها، ومشاكلها الأخروية، كما يعيق صاحبه عن أعمال الخير، وكسب الثواب كصلة الأرحام وإعانة البؤساء والمعوزين، وفي ذلك ضرر بالغ، وحرمان جسيم. قال الامام الباقر عليه السلام: (مثل الحرير على الدنيا، مثل دودة القز كلما ازدادت من القز على نفسها لفاً، كان أبعد لها من الخروج، حتى تموت) الوافي ج ٣ ص ١٥٢ عن الكافي.

لذلك قال الشاعر:

يفني البخل بجمع المال مدته  
وللحوادث والأيام ما يدع  
كدودة القز ما تبنيه يدهمها  
وغيرها بالذي تبنيه ينتفع

وعنه عليه السلام: (ما ذئبان ضاربان، في غنم قد فارقتها رعاؤها أحدهما في أولها والآخر في آخرها، بأفسد فيها من حب المال والشرف في دين المسلم) مرآة العقول في شرح الكافي للمجلسي (ره) ج ٢ عن الكافي ص ٣٠٢..

وقال الإمام الحسن بن علي عليه السلام: (هلاك الناس في ثلاث: الكبر والكبر والحرص والحسد).



## إليه يصعد الكلم الطيب

وقال عليه السلام: (ما آمن بي من بات شبعاناً وجاره جائع، وما من أهل قرية يبني فيهم جائق ينظر الله إليهم يوم القيامة)..

**٢- مجالات الكرم:** هذا هو مقياس الكرم والسخاء في عرف الشريعة الإسلامية، كما قال النبي صلى الله عليه وآله: (من أدى ما افترض الله عليه، فهو أسخى الناس) الوافي ج٦ ص ٦٧ عن الفقيه، وأفضل مصداق البر والسخاء بعد ذلك، وأجدرها عيال الرجل أهل بيته، فإنهم فضلاً عن وجوب الإنفاق عليهم، وضرورته شرعاً وعرفاً، أولى بالمعروف والإحسان، وأحق بالرعاية واللطف.

لذلك أوصى أهل البيت عليهم السلام بالعطف على العيال، والترفيه عنهم بمقتضيات العيش ولوازم الحياة: قال الإمام الرضا عليه السلام: (ينبغي للرجل أن يوسع على عياله، لئلا يتمنوا موته) الوافي ج٦ ص ٦٧ عن الفقيه.

وقال الإمام موسى بن جعفر عليه السلام: (إن عيال الرجل أسراؤه، فمن أنعم الله عليه نعمة فليوسع على أسرائه، فإن لم يفعل أوشك أن تزول تلك النعمة) الوافي ج٦ ص ٦١ عن الكافي والفقيه. والأرحام هم أحق الناس بالبر، وأحرامهم بالصلة والنوال، ولأوصاهم الرحمة، وتساندهم في الشدائد والأزمات.

خاتمة: الإيثار والكرم في سيرة أهل البيت عليهم السلام: الإيثار من أسمى درجات الكرم، وأرفع مفاهيمه، ولا يتحلى بهذه الصفة المثالية النادرة، إلا الذين تحلوا بالأريحية، وبلغوا قمة السخاء، فجادوا بالعطاء، وهم بأمر الحاجة إليه، وآثروا بالنوال، وهم في ذلك من الحياة. وقد أشاد القرآن بفضلهم قائلاً: **«وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ»** الحشر: ٩

وسئل الصادق عليه السلام: أي الصدقة أفضل؟ قال: جهد المُقِل، أما سمعت الله تعالى يقول: **«وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ»** الوافي ج٦ ص ٥٨ عن الفقيه..

ولقد كان النبي صلى الله عليه وآله المثل الأعلى في عظمة الإيثار، وسمو الأريحية.

قال جابر بن عبد الله: ما سئل رسول الله صلى الله عليه وآله شيئاً فقال لا.

وقد كان يؤثر على نفسه البؤساء والمعوزين، فيجود عليهم بماله وقوته، ويظل طاموياً، وربما شد حجر المجاعة على بطنه مواساة لهم.

قال الإمام الباقر عليه السلام: (ما شيع النبي من خبز بر ثلاثة أيام متوالية، منذ بعثه الله إلى أن قبضه) سفينة البحار ج١ ص ١٩٤.

والكرم ضد البخل، وهو: بذل المال أو الطعام أو أي نفع مشروع، عن طيب النفس. وهو من أشرف السجايا، وأعز المواهب، وأخلد المآثر. ونأهيك في فضله أن كل نفيس جليل يوصف بالكرم، ويعزى إليه، قال تعالى: **«إِنَّهُ لَنَرَّانٌ كَرِيمٌ»** الواقعة: ٧٧، و **«وَجَاءَهُمْ رَسُولُ الدِّخَانِ»** ٢٦، لذلك أشاد أهل البيت عليهم السلام بالكرم والكرماء، ونوهوا بهما أبلغ تنويه: قال الإمام الباقر عليه السلام: (شاب سخي مرهق في الذنوب، أحب إلى الله من شيخ عابد بخيل) الوافي ج٦ ص ٦٨ عن الكافي والفقيه.

وقال الصادق عليه السلام: (أتى رجل النبي صلى الله عليه وآله فقال: يا رسول الله أي الناس أفضلهم إيماناً؟ فقال: أسبغهم كفاً) الوافي ج٦ ص ٦٧ عن الكافي..

وعن جعفر بن محمد عن أبياته عليهم السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: (السخي قريب من الله، قريب من الناس، قريب من الجنة، والبخل بعيد من الله، بعيد من الناس، قريب من النار) البحار م ١٥ ج ٣ عن كتاب الإمامة والتبصرة.

وقال الإمام الباقر عليه السلام: (أنفق وأيقن بالخلف من الله، فإنه لم يبخل عبد ولا أمة بنفقة فيما يرضي الله، إلا أنفق أضعافها فيما يسخط الله) الوافي ج٦ ص ٦٨.

**٢- محاسن الكرم:** لا يسعد المجتمع، ولا يتذوق حلاوة الطمأنينة والسلام، ومفاهيم الدعة الرخاء، إلا باستشعار أفراد روح التعاطف والتراحم، وتجاوبهم في المشاعر والأحاسيس، في سراء الحياة وضرائها، وبذلك يغدو المجتمع كالبنيان المرموص، يشد بعضه بعضاً. وللتعاطف صور زاهرة، تشع بالجمال والروعة والبهاء، ولا ريب أن أسماها شأنًا، هو عطف الموسرين وجودهم على البؤساء والمعوزين، بما يخفف عنهم آلام الفاقة ولوعة الحرمان.

من أجل ذلك دعت الشريعة الإسلامية إلى السخاء والبذل والعطف على البؤساء والمحرومين، واستكرت على المجتمع أن يراهم يتضورون سغباً وحرماناً، دون أن يحس بمشاعرهم، وينبيري لنجدهم وإغاثتهم. واعتبرت الموسرين القادرين والمقتاعسين عن إسعافهم أبعد الناس عن الإسلام، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله: (من أصبح ولم يهتم بأمور المسلمين فليس بمسلم).

فالكبر هلاك الدين وبه لُعن إبليس. . والحرص عدو النفس، وبه أخرج آدم من الجنة. والحرص رائد السوء ومنه قتل قابيل هابيل كشف الغمة.

**٣- علاج الحرص:** وبعد أن عرفنا مساوئ الحرص يحسن بنا أن نعرض مجملًا من وسائل علاجه وهي:

- أن يتذكر الحريص مساوئ الحرص، وغوائله الدينية والدنيوية وأن الدنيا في حلالها حساب، وفي حرامها عقاب، وفي الشبهات عتاب.

- أن يتأمل ما أسلفناه من فضائل القناعة، وحسناتها، مستجلباً سيرة العظماء الأقداد، من الأنبياء والأوصياء والأولياء، في زهدهم في الحياة، وقناعتهم باليسير منها.

- ترك النظر إلى من يفوقه ثراء وتمتعاً بزخارف الحياة، والنظر إلى من دونه فيها فذلك من دواعي القناعة وكبح جماح الحرص. **١. الاقتصاد المعاشي:** فإنه من أهم العوامل في تخفيف حدة الحرص، إذ الإسراف في الإنفاق يستلزم وفرة المال، والإسراف في كسبه والحرص عليه. قال الإمام الصادق عليه السلام: (ضمنت لمن اقتصد أن لا يفترق) البحار م ١٥ ج ٢ ص ١٩٩ عن الخصال. المحور الثالث: مفهوم الكرم ومحاسنه والحث عليه.

**١- مفهوم الكرم وبواعثه:** تختلف بواعث الكرم باختلاف الكرماء، ودواعي أريجيتهم، فأسمى البواعث غاية، وأحدها عاقبة ما كان في سبيل الله، وايتقاء رضوانه، وكسب مئويته. وقد يكون الباعث رغبة في الثناء، وكسب المحامد والأمجاد، وهنا يغدو الكرم تاجراً مسامواً بأريجيتة وسخائه.

وقد يكون الباعث رغبة في ما هو مأمول، أو رهبة من ضرر مخوف، يحفزان على التكرم والإحسان.

ويلعب الحب دوراً كبيراً في بعث المحب وتشجيعه على الأريحية والسخاء، استمالة لمحبيه، واستدرااراً لعطفه.

قال الإمام الصادق عليه السلام: (رايت المعروف لا يصلح إلا بثلاث خصال: تصغيره، وسره، وتعجيله. فإنك إذا صغرته عظمت عند من تصنعه إليه، وإذا سرتته أتممت، وإذا عجلته هنيئته، وإن كان غير ذلك محقته ونكدته) البحار م ١٦ من كتاب العشرة ص ١١٦ عن علل الشرائع. .